الملحمة الحسينيّة تحت مجهر التحقيق العلميّ

محمد الصادق بوعلاق [1]

خلاصة البحث

يكشف الغوص في دراسة المقاتل الحسينيّة وما صُنّف، على مرّ القرون الماضية، حول واقعة كربلاء، أنّ أرباب المقاتل ومُسيّري مواكب العزاء الحسيني قاموا - ولا يزال - بتجاوزات جسيمة تسيء إلى الملحمة الحسينيّة وتنال من نقائها وصفائها، فتثير هذه الوضعيّة الحرجة أسئلة عديدة منها:

ما أشكال الإساءة إلى الملحمة الحسينيّة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام؟

ما واجبنا ومسؤوليّتنا تجاه هذه الإساءة؟

هل من الممكن إصلاح هذه التجاوزات؟ وكيف؟

نسعى في هذا المقال، بمنهج تحليليّ يتّسم بالدقّة والموضوعيّة، إلى وضع أحداث الملحمة الحسينيّة تحت مجهر التحقيق العلميّ؛ لنقدم إجابة عن هذه الأسئلة المهمّة، ونسوق إجابتنا في شكل مشروع إصلاحيّ متكامل يقترح حزمة إصلاحات هيكليّة، ومجموعة حلول عمليّة لتنقية الشعائر الحسينيّة، والثقافة العاشورائيّة من آثار هذه التجاوزات.

المفردات الرئيسة: الشعائر الحسينيّة، الثقافة العاشورايّة، الإصلاح الهيكليّ

---

١. جامعة تونس، باحث في مجال الفكر الإسلاميّ، تونس. البريد الإلكتروني : Bouallegue.m@gmail.com.

أشكال الإساءة إلى الملحمة الحسينيّة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

ما أشكال الإساءة إلى الملحمة الحسينية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام؟

إنّه سؤالٌ جوهريٌّ تتطلّب الإجابة عنه كثيرًا من التجرّد، والموضوعيّة، والحياد، وكذلك تقييم ثقافة المشهد العاشورائيّ وإعادة قراءة مخرجاته بكلّ جرأة وشجاعة.

أشكال الإساءة عديدة إلا أنّه يمكننا حصر أهمّها في النقاط التالية:

١. اختزال الملحمة الحسينيّة في الجانب العاطفيّ المأساويّ

لو دققنا جيّدًا في أحداث الملحمة لوجدناها مزيجًا من عنصري: الثورة والمأساة.. أو عنصريْ: العِبرة (بكسر العين) والعَبرة (بنصب العين)، وهما جناحان تحلّق بهما النهضة الحسينيّة نحو أهدافها الإلهيّة المرسومة؛ فعلى هذا الأساس يجب أن يكون للملحمة الحسينيّة طابعان أساسيّان: طابع "ثوريّ وسياسيّ" تكون فيه الكلمة للعِبرة (بكسر العين) واستخلاص الدروس، وآخر "عاطفيّ ومأساويّ" يكون فيه المجال للعَبرة (بنصب العين) والدمعة، وتعود الأصالة إلى الجانب "الثوريّ والسياسيّ"، وليس إلى الجانب "العاطفي والمأساوي"؛ إذ ما العاطفة والمأساة إلّا واحدة من لوازم المواقف الثوريّة السياسيّة، لكن الأساس والأصل والغاية الأهمّ تنبع من تأصيل الجانب "الثوريّ والسياسيّ" لتلك الحركة الإلهيّة، إنّها الحركة التي بدأها الحسينيون بالوقوف في وجه الظالمين وختمها اليزيديون بالفجيعة والمأساة، وعنصر المأساة والمحنة جاء معلولًا لخطيئة الأعداء.[١]

ومن الإساءات الخطيرة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام تغييب الجانب الثوريّ في فلسفة عاشوراء والاقتصار على الجانب العاطفيّ المأساويّ، وتلك جريمة نكراء في حقّ الملحمة الحسينيّة والمبادئ والأهداف التي من أجلها ثار الحسين عليه السلام.

١. راجع أيضًا "عاشوراء الحسين وعاشوراء الشيعة"، أ. محمد أسفنديارى، ترجمة محمد عبد الرزاق، مجلّة "نصوص معاصرة" – السنة الثالثة – العدد التاسع – شتاء ٢٠٠٧

إنّ الاقتصار على الرؤية العاطفيّة دون غيرها حصر الملحمة الحسينيّة في حدود البكاء والعويل، وحبسها داخل أسوار اللّطم وأنواع مظاهر الحزن، كما اختزلت شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام في المعاناة، والفجيعة، والرزيّة، فأصبحنا لا نجني من وراء إقامة مجالس العزاء الحسيني إحياء مبادئ الإمام الحسين عليه السلام، ولا التعميق في مفاهيم نهضته، بل أضحى المراد والهدف من تلك المجالس البكاءَ، والعويل، واللّطم، والنحيب؛ فبهذه الإساءة استُبدِل الهدف بالوسيلة، واحتلّت النتيجة مكان المقدّمات.

شهدت القرون الماضية نادبين على الإمام الحسين عليه السلام أكثر من ثائرين معه، وتفوّق شعراء الرثاء على شعراء الثورة، وانتصر خطباء العزاء على المفكرين والباحثين، وفاز المتفنّنون في ابتكارات تهييج العواطف وإثارة الأحزان على المستنبطين لحلول في الاقتصاد والاجتماع والسياسة من روح نهضة عاشوراء.[١]

٢. تبرير الغاية بالوسيلة

تقودنا دراسة المصنفات العديدة حول الملحمة الحسينيّة إلى استنتاج - نسوقه بكلّ أسف - يتمثّل في دخول المبدأ الميكافيلي القبيح "الغاية تبرر الوسيلة" إلى ثقافة عاشوراء مشكّلًا إساءة مشينة إلى الملحمة الحسينيّة؛ حيث يبرّر القائمون على المجالس الحسينيّة وصُنّاع الأساطير إساءتهم بهذه المقولة: ما دام الهدف مقدّسًا ونبيلًا، وهو إبكاء الناس على مصائب أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فلا تهمّ الوسيلة المُتّبعة لبلوغ ذلك: أن نختلق الأساطير، أو نضع الأحاديث، أو نضرب الطبول، أو نُسيل الدماء... كلّ ذلك ليس مهمًّا من أجل الوصول إلى إبكاء الناس وتهييج عواطفهم... من أجل هذا الهدف العظيم يجوز فِعْل ما لا يجوز فِعْله في المواطن الأخرى، فكلّ التجاوزات في هذا المجال قابلة للغفران من أجل قدسيّة الهدف وهو إبكاء الناس.

١. نورد هذه المقولة بالرغم ممّا نشهده منذ السنوات الأخيرة من عودة مشرّفة من قِبَل المنتسبين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام لإعادة إحياء المبادئ الأساسيّة للملحمة الحسينيّة؛ عودة تولّى تأطيرها ثلّة من العلماء الأعلام، إلّا أنّ الطريق ما زال طويلًا لاستكمال الواجب المطلوب.

وقعت بهذه العقلية المنحرفة إساءة كبيرة إلى الملحمة الحسينيّة، ودخلت في الثقافة العاشورائيّة أفكارٌ غريبة وممارسات عجيبة اختلط معها الدخيل بالأصيل، والتبست الأُمور على الناس، حتى نستشعر عمق الفاجعة، وهوْل الكارثة، وخطورة الموقف، نستمع إلى اعتراف من اعترافات بعض "الوُضّاع" المسيئين كما أوردها هاشم معروف الحسني؛[1] حيث يقول:

وجاء عن بعضهم أنّه كان يقول: إذا استحسنّا أمرًا جعلنا حديثًا، وإذا اتّهمهم أحدٌ بالكذب على الرسول، ولم يستطيعوا التخلّص منه التجئوا إلى أسلوب آخر وقالوا: نحن نكذب له، لا عليه؛ لنرقّق قلوب العامّة.

٣. صناعة الأساطير

لم تقتصر صناعة الأساطير على ثقافة معيّنة دون أخرى، بل هيمنت على جلّ الثقافات الإنسانيّة، ولم تكن الثقافة العاشورائيّة استثناءً لأنّها ثقافة شعبيّة واسعة، شكّلت إطارًا خصبًا للأسطورة ومسرحًا فسيحًا للخرافة جال الخيال بطلاقة في أرجائه، ووقعت الإساءة إلى الملحمة الحسينيّة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام أوّلًا عندما اُستُبدلت عاشوراء الثورة والأحزان معًا بعاشوراء الأحزان فقط. وثانيًا عندما دخلت الأساطير والخرافات على الثانية.

تمثّلت الإساءة الأولى في اختزال الملحمة الحسينيّة - بأهدافها الإلهيّة ومبادئها الربّانيّة - في مجالس لإقامة العزاء اقتصرت على تهييج العواطف؛ أمّا الإساءة الثانية فتمثّلت في نفوذ الخرافة والأسطورة إلى مضمون المجالس نفسها خدمة للأهداف المصطنعة، وقد شكّلت عوامل عديدة دوافعًا ساعدت على تسلّل الأساطير ونفاذ الخرافات إلى النصوص العاشورائيّة، لعلّ أهمّها طبيعة أحداث الملحمة العاشورائيّة

١. راجع: الموضوعات في الآثار والأخبار: ١٩٨.

نفسها؛ حيث انطوت تلك الأحداث على بطولتين في ذروة البطولات التي عرفتها الإنسانيّة: بطولة قمّة في الإيجابيّة، وأخرى قمّة في السلبيّة.

لقد سجّل الإمام الحسين عليه السلام - في التاريخ - أعلى درجات الإباء، والعزّة، والشجاعة، والوفاء والمظلومية، وسجّل جيش العدوّ - عبر التاريخ - أعلى درجات النفاق، والوحشية، والدناءة بخرقه كلّ المحرمات وتعدّيه على كلّ الأعراف، وارتكابه مجازر تخجل الأقلام من ذكر بشاعتها وتأبى الآذان سماع غطرستها، كلّ ذلك جعل لأحداث عاشوراء قابليّة لجميع أنواع المبالغة والتهويل في المخيّلة الفرديّة والجماعيّة، وهيّأ الذهنيّات لتقبّل كلّ أنواع الإفراط؛ ونتيجة لهذا الاتّساع تسرّبت الأساطير والخرافات إلى النصوص العاشورائيّة دون أدنى مقاومة.

ساهمت كذلك بعض الأساليب الشفهيّة في عرض السيرة الحسينيّة في تسلّل العديد من الأساطير إلى النصوص العاشورائيّة، إنّ المبالغات الشعريّة، والأساليب المجازيّة، والمشاهد الفنيّة، والصور التخيليّة التي يعرضها بعض قرّاء العزاء كواقائع وحوادث، إضافة إلى قدرة تأثيرهم على النفوس وتحريكهم للمشاعر، يُوحي للمستمع - والمتلقّي عمومًا - أنّها معلومات تاريخيّة قادمة من صميم الواقع ومن قلب الأحداث، تودّي هذه الأساليب مع الزمن دورًا شبيهًا بإنتاج نصوص تراثيّة جديدة يتمّ التعامل معها، من قِبَل كثير من المتلقّين، كنصوص أصليّة، ومع مرور الزمن تصبح تلك "النصوص المُستحدَثة " من المتواترات، ثمّ تجد الطريق أمامها مفتوحًا لتُدرَج في بعض المقاتل وكتب السِيَر التي تتسامح في نقل المرويات دون تحقيق ولا تدقيق.

والسؤال المهم في السياق: هل تحتاج الملحمة العاشورائيّة إلى الأسطورة حتى تستمرّ في خلودها وانتشارها في المجتمعات وعبر الأزمنة والعصور؟

والجواب واضحٌ وجليٌّ: لم تقدّم الأسطورة المصطنعة، ولا الخرافة الزائفة، أي خدمة للفكر العاشورائيّ، بل أساءت إليه حيث أبعدت الناس عنه، جعلته محلًّا للاستهزاء

والتوهين، وجرّدته من عنفوانه ونقائه. تمثّل عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام أكبر المعالم الثقافيّة الشيعيّة، كما أنّ جلّ العامّة من المدارس الأخرى لا يعرفون الشيعة إلّا عبرها، ولا يُقيِّمون فكر مدرسة أهل البيت عليهم السلام إلّا في ضوئها، وكلّ باحث من خارج دائرة التشيّع إذا أراد تقييم الثقافة الشيعيّة، فإنّ نظره سيرتكز أوّلًا على ما يحدث في المراسم العاشورائيّة، ولنا أن نتصوّر الانطباعات التي تحصل لكلّ من يُصدَم بكمّ هائل من الخرافات والأساطير الزائفة ومجموعةٍ كبيرة من الممارسات التي يرفضها العقل السليم وتنهى عنها الشريعة الغرّاء!!

٤. إيذاء النفس في مواكب العزاء الحسيني

إذا كانت الأساطير والخرافات قد تسرّبت إلى قراءة العزاء لتنال من نقائها، فإنّ مواكب العزاء لم تسلم كذلك من انحرافات طرقت بابها، وولجت إلى صميم فعّالياتها؛ لتنال من قدسيّة التعبير عن مظاهر الحزن فيها.

ابتكر بعض أصحاب مواكب العزاء - عن حسن نيّة وصدق عاطفة - أشكالًا عديدةً، وأنماطًا كثيرةً للتعبير عن حزنهم، قاسِمها المشترك هو: إيذاء النّفس، وتتجلى أهمّ هذه الأشكال التعبيريّة في:

- الضرب على الرأس بالسيف حتى إسالة الدماء (ما يُسمّى بـ"التطبير").
- إدماء الظهر بسلاسل من سكاكين.
- نصب الأغلال.
- المشي حافيًا على النار والجمر.
- إحداث ثقوب في البدن ووضع الأقفال فيه أو تعليق معايير الأوزان.

لم يتلقّ أصحاب مواكب العزاء أيّ شكل من هذه الأشكال التعبيريّة من مرجع من المراجع، أو عالم من العلماء، وإنّما أقحموها في مواكبهم من قِبَل أنفسهم دون وعي،

إتباعًا لأهوائهم، وإرضاءً لاندفاعهم. والشرع الحنيف لا يُجوِّز الاعتداء على النفس المحترمة وإيذاؤها، بل يدعو المؤمنين إلى اجتناب كلّ ضرر يلحق النفس والجسد.

إضافة إلى الأذى البدنيّ والنفسيّ، فإنّ هذه الممارسات والبدع مُضعفة لشوكة الدين، ومُنفّرة للمذهب في نظر الناس، ومشينة لأهله، ومُبعِدة عنه، وملحقة به العار، لقد أصبحنا نعيش في عصر الصورة الحيّة، والفضائيات، والنقل المباشر، ووسائل التواصل الاجتماعي التي تنقل بالصورة والصوت كلّ ما يجري في أنحاء العالم بسرعة مذهلة، وأصبحت هذه الممارسات الدخيلة، والطقوس الغريبة تشكّل عبئًا ثقيلًا على مدرسة أهل البيت؛ حيث تساهم في فتح باب القدح في المذهب، والحطّ من قيمته، ومن قَدْر المنتسبين إليه، كما أصبحت تُعبِّد الطريق أمام المتربّصين، وقطاع الطرق للنيل من هذه المدرسة العريقة. أصبحت صورة المدرسة والمذهب مقرونة بالدم، مرتبطة بالشعوذة والطقوس الغريبة، فما على المرء إلّا أن يكتب مثلًا لفظ "شيعة" على أيّ محرّك من محرّكات البحث (Google مثلًا) لتظهر أمامه صور الدماء، وأعضاء الجسد المنكوبة، والمشاهد الهجينة، والمصحوبة بالتعاليق السخيفة، فأصبحت هذه الممارسات الدخيلة تمثّل مظهر تخلف، ووصمة عار على جبين مدرسة أهل البيت.

الواجب تجاه هذه الإساءة

علينا أن نعترف أوّلًا بأنّ الشعائر الحسينيّة طالتها تشويهات كادت تدنّس نقاءها، وتنحرف بها بعيدًا عن مسارها الذي من أجله خرج الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه مُضحّين بالنفس والنفيس، كما علينا أن نَعِي بأنّ السّالك إلى الحقّ تعالى، والعاشق للرسول الأكرم وآل بيته الكرام صلى الله عليهم أجمعين، لا يستطيع أن يتقرّب إلى الله تعالى بمقْتَلٍ وبشعائر نالت منها الأساطير الزائفة والخرافات الوهمية، وبمواكب تلاعبت بفعالياتها البدع الدخيلة، والأهواء المقيتة، لن ينصلِح الدين (وما جوهر نهضة

الإمام الحسين عليه السلام إلّا إصلاح الدين) بملحمة أوشكت الأهواء أن تنال من صفائها.

ومن هذا المنظار تصبح تنقية الشعائر الحسينيّة من كلّ ما علق بها من إساءة أمرًا مهمًّا، بل واجبًا مقدّسًا، ومسؤوليّة جسيمة، يجب أن يضطلع بها كلّ المنتسبين إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام: أعلام المدرسة، مراجعها، علماؤها وكذلك عامّة الناس.

الأعلام والعلماء الأجلاء مسؤولون؛ لأنّهم حصون الإسلام، وحماة المذهب والمدرسة، وورثة الرسول الأعظم والأئمّة الأطهار عليهم الصلاة والسلام، وهم المسؤولون أمام الله تعالى على نشر تعاليم الإسلام المحمّدي الأصيل، والتصدّي لكلّ الآفات التي تصيب الدين الحنيف، والحفاظ على مبادئه من الاندثار، وشعائره من الانحراف. تكبر مسؤوليّة العلماء عند ظهور البدع والفتن. أُثِر عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال:

إذا ظهرت البدع في أمّتي، فلِيُظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله.[1]

وقال الإمام علي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله:

إنّ العالم الكاتم علمه يُبعث أنتن أهل القيامة ريحًا، تلعنه كلّ دابة من دوابّ الأرض الصغار.[2]

والمراد من البدعة التي تحرّمها الأحاديث الشريفة هي كلّ ما استحدِث في أمور الدين بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، من أهواء وأعمال، زيادة فيه أو نقصانًا منه من غير إسناد إليه.

وعامّة الناس مسؤولون كذلك، ولهم مسؤوليتان كبيرتان عليهم تحملهما:

- تجسيد وتطبيق واجب النهي عن المنكر، وعليه فإنّ كلّ من يتفطّن إلى أنّ ما يقال على المنابر الحسينيّة الشريفة من افتراء مجافٍ للصواب وبعيد عن

١ . الكافي: ٥٤/١؛ الحديث رواه الشيخ الكليني عن الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن معلى بن جمهور.
٢. المحاسن: ١٧٧/٢٣١؛ الحديث مروي عن عبد الله بن المغيرة، ومحمد بن سنان، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام.

الصحّة، ومن واجبه أن يقاطع المجالس ولا يحضرها، بل يلزم عليه أن يقاوم تلك الانحرافات ويفضحها ويشهّر بها.

- لم تنتشر هذه الانحرافات، ولم تتجذر في الواقع كمضمون للمقاتل، وكأنماط للممارسات في المواكب إلّا لقابلية لها في نفوس الناس الذين عادة ما تسيطر عليهم رغبة جامحة، وقابليّة كبيرة في أن يعيشوا في المجالس والمواكب لحظات حماسة تهزّ الوجدان، وتحلّق بالمشاعر والعواطف إلى ما وراء اللحظة الآنية.

إذا حضر الموالي مجلس العزاء الحسيني وليس في مراده إحياء مبادئ الإمام عليه السلام، ولا التعرّف على مفاهيم نهضته، بل كلّ همّه، ومبلغ انتظاراته البكاء والجزع، فإنّه سيضع الخطيب الحسيني في مأزق كبير: إن تكلّم الصدق واقتصر مجلسه على سرد الحقائق كما هي، دون زيادة ولا نقصان، فإنّ ذلك المجلس سيُنعت بالبرودة، وربما يقال إنّ نيّة الخطيب غير صادقة، وإن وشح مجلسه بالخرافات والأساطير تهييجًا للعواطف، وإثارة للأشجان، فإنّه سيقع في المحضور.

ومن واجب عامّة الناس إذًا مقاومة هذه الرغبة غير المسؤولة بالسلوك الواعي، وبتصحيح الغاية من حضور المجالس ومن المشاركة في المواكب، فيجب أن تكون النية هي التقرب إلى الله تعالى بإحياء شعيرة عظيمة جاهد أئمتنا الأطهار من أجل تركيزها والمحافظة عليها.. ويجب أن يصبح الاستماع إلى المقتل النقي الصادق مطلبا جماهيريًّا.

ليس للدمعة الصادقة على مصيبة سيد الشهداء عليه السلام – وإن أخذت حجم جناح ذبابة – إلّا الأجر الجزيل غير المحدود، لكن بشرط أن تخرج هذه الدمعة من عيون عرفت الإمام عليه السلام حقّ معرفة، وأحبته من كلّ جوارحها، ولا أظنّ أنّ المجالس المليئة بالخرافات السخيفة، والأساطير الزائفة قادرة أن توفّر معرفة حقيقية للإمام، أو أن تجلب حبًّا صادقًا له، ربما لا يكون للدموع التي تُذرف نتيجة التفاعل مع الخرافات والأساطير أي وزن في المنظار الرباني، ولو كانت بحارًا من الدموع.

التجربة الإصلاحيّة للمحدث حسين النوريرحمه الله

يُعتبر إصلاح الشعائر الحسينيّة، وتهذيب مضامينها، ومراجعة أشكال التعبير عنها أمرًا مقدّسًا، فكلّما حاول مصلح تنقيح هذه الشعائر، ونقد أشكالها المستحدثة، وإصلاح ما تراكم عليها من تطاول وتجاوزات أبعدتها عن أهدافها الرئيسيّة إلّا وتعالت أصوات فئتين من الناس ترفضان رفضًا قطعيًّا مجرّد الاقتراب من دائرة العزاء الحسيني:

- فئة ترى أنّ كلّ ما وصل إلينا من أخبار الملحمة الحسينيّة المنقولة في الكتب أو المحكيّة بالأفواه صحيح، ومقدّس، وخارج عن دائرة التحقيق والتدقيق، وغير خاضع للمناقشة، ترى (الفئة) في محاولة الإصلاح ارتداد على الفكر الحسيني، وخيانة للخطّ الولائي، وفي نقد مظاهر العزاء رفض لأصل مفهوم العزاء.
- فئة تُدرك الآثار السلبيّة للإساءة على الملحمة الحسينيّة إلّا أنّها ترفض قطعيًّا مبدأ التصدّي لها بزعمها أنّ لجميع أشكال الإساءة من خلْق الأساطير والخرافات، واستنباط الأشكال الدخيلة من مظاهر العزاء دور مهمّ في تثبيت قضية الإمام الحسين في نفوس الناس، والتفافهم حولها طول السنين، وترى أنّ في غياب الأساطير، والخرافات، والأشكال الاستعراضيّة من مظاهر الحزن والعزاء غياب للحيوية وانتكاسة للقضيّة في النفوس.

ومن مميّزات هاتين الفئتين أنهما عاليتا الصوت ومؤثّرتان في المزاج الشعبي، نجحتا في أسْرِ الشعائر الحسينيّة داخل مربّع مصطنع من الطقوس النمطيّة لا مجال لاختراق أسواره. يذكر لنا التاريخ أنّه عندما اعترض آية الله العظمى البروجردي رحمه الله على بعض مظاهر العزاء في شهر محرّم وأراد تصحيحها جُوبِه بانتقاد لاذع وقيل له: نحن مستعدّون لتقليدك في كلّ أيام السنة باستثناء هذه الأيام من محرّم.[1]

١. راجع مقال بعنوان " عاشوراء الحسين وعاشوراء الشيعة ... تعدّد الأهداف والوسائل "، أ. محمد إسفنديارى، ترجمة : محمد عبد الرزاق، مجلة " نصوص معاصرة "، السنة الثالثة، العدد التاسع، شتاء ٢٠٠٧ م

لقد بادر في تلك الأجواء الحسّاسة عالم جليل - منذ بداية القرن المنصرم - من داخل الحوزة العلميّة للقيام بمحاولة إصلاحيّة لنصوص المراثي الحسينيّة ومظاهر العزاء، قصْد تنقية السيرة الكربلائيّة ممّا دخلها من مكذوب، وطغى عليها من أساطير لا تتفق مع أبسط مقوّمات التفكير السليم، والذوق الفقهي، والمبدأ العقدي... أقصد بذلك المحدّث حسين النوري الطبرسي (١٢٤٥ – ١٣٢٠) هجري.

الشيخ حسين النوري رحمه الله محدّث نادر، متبحّر في فنّ الخطابة، ومتمكّن من علوم الحديث، درس على أبرز علماء عصره مثل الشيخ مرتضى الأنصاري، والميرزا حسن الشيرازي، والشيخ عبد الرحيم البروجردي وغيرهم من العلماء الأعلام رحمة الله على جميعهم، وهو أستاذ الكثير من الأعلام الحوزويّة المرموقة منهم الشيخ عبّاس القمّي (صاحب مفاتيح الجنان)، وآغا بزرك الطهراني (صاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة)، والسيد محسن أمين العاملي (صاحب رسالة التنزيه والتشبيه)، والشيخ علي أكبر النهاوندي، والشيخ محمد باقر البيرجندي وغيرهم.. ألّف العديد من المراجع، ولعلّ أهمّها: "مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل"، وكذلك "معالم العِبَر"،[1] منها كتاب صغير الحجم، كبير الوزن يسمّى "اللؤلؤ والمرجان".

يُعتبر كتاب "اللؤلؤ والمرجان" - على صغر حجمه - علامة فارقة في النهج الإصلاحي للملحمة الحسينيّة، أُلِّف في بداية القرن الماضي وشنّ فيه المحدّث النوري رحمه الله حملة عنيفة على ظاهرة الأساطير والخرافات المتسرّبة إلى أحداث ووقائع الملحمة الحسينية، ونبّه إلى خطورة هذه الظاهرة محذّرًا منها تحذيرًا قويًّا، كما دعا إلى الكفّ عن كتابة هذا اللون من الكتابات، والتقوّل – من فوق المنابر الحسينيّة – بهذا الصنف من الخرافات، اعتبر ذلك من الكذب على المعصوم المحرّم أشدّ التحريم، وكشف عن بعض الأسماء

١. لكن بعض من كتبه لم تكن تناسب شخصيته ولا مقامه العالي الرفيع، وخاصة كتابه " فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب "؛ لذلك تعرض إلى شيء من الانتقاد، غير أنّ كتبه إجمالًا جيّدة.

التي ساهمت في إدخال هذه الظاهرة إلى الثقافة العاشورائيّة، وتطرّق إلى العديد من النماذج التي اعتبرها تحريفًا للسيرة الكربلائيّة الناصعة.

يصرّح المحدّث النوري في كتابه قائلا:

من الواجب أن نقيم المآتم على الحسين عليه السلام، أمّا المآتم التي تقام عليه اليوم فهي جديدة، ولم تكن هكذا فيما مضى؛ وذلك بسبب كلّ تلك الأكاذيب التي ألصِقت بحادثة كربلاء دون أن يفضحها أحد، إنّنا يجب أن نبكي على الحسين عليه السلام، ولكن ليس بسبب السيوف والرماح التي استهدفت جسده الطّاهر الشريف في ذلك اليوم التاريخيّ، بل بسبب الأكاذيب التي ألصِقت بالواقعة.[1]

ويسلط الضوء على منبع الخرافات والأساطير الدخيلة في مقدّمة كتابه فيقول:

كتب لي أحد العلماء من الهند يشكو من كثرة الأكاذيب التي يروّج لها قُرّاء التعزية الحسينيّة في تلك البلاد وقد رجاني أن أعمل شيئًا بهذا الخصوص كأن أكتب كتابًا يُساهم في منع استمرار الخطباء في الكذب على المنابر الحسينيّة.

ثمّ يضيف:

إنّ هذا العالم الهندي يتصوّر أنّ قرّاء التعزية الحسينيّة يبدؤون بنشر الأكاذيب بعد أن يصلوا إلى الهند، ولا يدري أنّ المياه ملوّثة من رأس المنبع، وأنّ مصدر المآتم الكاذبة هي كربلاء والنجف وإيران، أي مراكز التشيّع الأساسيّة نفسها.[2]

تناول المحدّث النوري في كتابه الإصلاحي قضيّة بالغة الأهمية وهي: وظائف أهل المنبر وقرّاء المأتم الحسيني، ووضع شرطين أساسيين يجب أن يتوفرا في كلّ خطيب منبري، وقارئ للتعزية، وواعظٍ حسيني، وقد أفرد لكلّ شرطٍ فصلًا من كتابه الصغير، هذان الشرطان هما:

- الإخلاص وخلوص النيّة وضرورة الابتعاد عن الجشع المالي وحبّ الكسب

١. راجع المطهري، مرتضى، الملحمة الحسينيّة: ٢١/١.
٢. راجع المصدر نفسه: ٢١/١.

والارتزاق من القضايا الدينيّة عمومًا والقضيّة الحسينيّة خصوصًا.

- الصدق والابتعاد عن الكذب.

اقتنع بعض تلامذة المحدّث النوري بضرورة الإصلاح، وتأثّروا بمنهجه في البحث والتحقيق، وواصلوا نهجه، كان الشيخ عبّاس القمّي من بينهم حيث ألّف في نفس المجال تقريبًا:

- "نفثة المصدور"، ضمّنه – على منوال شيخه – نصائح مهمّة للخطباء.
- "نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم".
- "منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل".

كان الشهيد مرتضى المطهري رحمه الله من كبار المتحمّسين للمشروع الإصلاحيّ للمحدّث النوري، رحمة الله تعالى عليه، كان يكنّ له احترامًا كبيرًا ويصفه بالرجل العظيم ويصنّف كتابه "اللؤلؤ والمرجان" من الكتب الجيّدة جدًّا بالرغم من صغر حجمه"،[1] وبسط الشهيد المطهري أهمّ أفكار الشيخ النوري، فأيّدها، وأضاف عليها بعض التحليلات الجديدة، في كتابه "الملحمة الحسينيّة".

وضع الشهيد المطهري – من خلال محاضراته – النقاط على الحروف، ففضح أساليب التحريف اللفظي والمعنوي، وبيّن واجب الأمّة تجاههما، كما كشف أيضًا عن الزيف الدخيل على واقعة كربلاء، شاهرًا سيفه على كلّ الذين حاولوا استغلال عواطف الناس بإدخال ما ليس من الملحمة الحسينيّة في مضامينها بطريقة يأباها العقل السليم، ويستبعدها الذوق الرفيع، ويرفضها الشّرع الحنيف.

لم يرد المحدّث النوري ولا الشهيد المطهري محو ذكرى الإمام الحسين عليه السلام إنّما وجدا في الشعائر العاشورائيّة وثقافتها ما يتطلّب إصلاحه، فلم يتردّدا في القيام بواجبهما رغم وقوف محيطهما حجر عثرة في وجه هذه المحاولات الإصلاحيّة.

١. راجع المصدر نفسه: ٢٠/١.

التجربة الإصلاحية للسيد محسن الأمين العامليرحمه الله

السيّد محسن الأمين العاملي (١٢٨٣ – ١٣٧١) هجري عالم جليل، ومجتهد واسع الفضل، وصاحب مؤلّفات قيّمة منها: " أعيان الشيعة في تراجم طبقات أعلام الشيعة"، و"معادن الجواهر"، و"المجالس السنيّة"، و"الرحيق المختوم"، و"لواعج الأشجان"، و"كشف الارتياب في أتباع محمّد عبد الوهاب "... غيرها.

اقتنع رحمه الله بأنّ الشعائر الحسينيّة لم تَعُد سالمة من بعض الجوانب السلبيّة، ولا محافظة على أصالتها والأهداف التي أقِيمت من أجلها، بل تسرّبت إليها تجاوزات وانحرافات عديدة، وطالتها تطاولات خطيرة تكاد تصرفها عن مسارها الصحيح، وتوشك أن تُفرِغ النهضة الحسينيّة المباركة من محتواها الفكري والعقائدي، وتسلبها الأهداف التي من أجلها قام الإمام الحسين عليه السلام أمام هذه القناعة، التي لم تزدها الأيام إلّا رسوخًا، أطلق السيد محسن الأمين عليه السلام صيحة مخلصة تعالت مطالبة بتنقية الشعائر الحسينيّة ممّا علق بها من شوائب، كان ذلك سنة (١٣٤٧) هجري.

نتوقّف بشيء من التفصيل - يتماشى ومحدوديّة هذا المقال - عند تجربة السيد محسن الأمين رحمه الله وعَرْض تسلسل أحداثها؛ لأنّها تمثل رسمًا وفيًّا للمشهد، ومنوالًا صادقًا للواقع المعاش، وتكشف العوائق التي تقف في وجه كلّ حركةٍ إصلاحيّة لتمنعها من القيام بدورها في تنقية الشعائر الحسينيّة والثقافة العاشورائيّة ممّا يُشِينها ويُبعدها عن روح الإسلام المحمّديّ الأصيل، ونحن إذ نسعى لتفصيل القول - مع ما يتماشى ومحدوديّة هذا المقال المتواضع - في التجربة الإصلاحيّة الرائدة للسيد محسن الأمين رحمه الله نؤكّد على أنّنا لسنا بصدد الترويج لها، أو تبنّيها أو ردّها كاملة، بل كلّ ما يهمّنا - في هذه الوقفة - هو الرؤية السليمة التي يمتلكها صاحبها، والأفكار المستنيرة التي يطرحها، والتي نؤيّد بعضها ونتحفّظ على بعض الآخر.

كانت بداية رحلة هذه التجربة الإصلاحيّة مع عدّة مقالات كتبها السيد مهدي

البصري[١] سنة (١٣٤٣) هجري في الصحف العراقيّة، وتحديدًا في صحيفة "الأوقاف" التي كانت تصدر بالبصرة آنذاك، لم يكتف السيد مهدي البصري بعرض آرائه في الصحف، بل ألّف رسالة مستقلة ضمّنها جميع انتقاداته لبعض الشعائر الحسينيّة سمّاها "صولة الحقّ في جولة الباطل"، طبِعت الرسالة في العراق في نفس السنة (١٣٤٣) للهجرة، كان سهم الانتقادات موجّه لبعض الممارسات كضرب الرؤوس بالسيوف، وضرب الظهور بالسلاسل، وتمثيل واقعة الطف، وخروج المواكب في الشوارع يوم العاشر من محرّم.

أثارت رسالة "الصولة" ضجّة في البصرة والعراق واستفسارات العامّة والمثقفين، وجّه على إثرها أهالي البصرة عدّة أسئلة إلى علماء النجف الأشرف طالبين بيان الحكم الشرعي في كلّ ما يُطرح حول هذه الشعائر، وانقسم مراجع وعلماء النجف إلى مؤيّد ومعارض، فقد أيّد هذه الطريقة في التعاطي مع الشعائر كلّ من الميرزا حسين النائيني (ت ١٣٥٥) هجري والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣) هجري، في حين عارضها السيد أبو الحسن الأصفهاني (ت ١٣٦٥) هجري رحمة الله عليهم أجمعين،[٢] ولم يكتف الشيخ إبراهيم المظفّر بالردّ على انتقادات السيد مهدي البصري في الصحف، بل أفرد لردوده رسالة مستقلّة سماها "نصرة المظلوم" طبعت سنة (١٣٤٥) هجري.

دافع السيد محسن الأمين عن الآراء الواردة في رسالة "الصولة"؛ وذلك عبر كتابة عدّة مقالات في الصحف البيروتيّة، وجّه فيها انتقاداته اللّاذعة لبعض ممارسات الشعائر الحسينيّة كضرب الرؤوس بالسيوف والظهور بالسلاسل، لم يكتف رحمه الله بالردّ في الصحف بل ألّف كتابين مهمّين في هذا الموضوع هما: "إقناع اللائم على إقامة المآتم" و"المجالس السنيّة في مناقب ومصائب العترة النبويّة"، طُبِع الكتابان سنة (١٣٤٣) هجريّة، من تاريخ طبع الكتابين يتّضح أنّ فكرة انتقاد

١. هو السيد مهدي ابن السيد صالح الموسوي القزويني الكاظمي البصري، ولد بالكاظمية سنة ١٢٧٢ هجري، درس فيها العلوم الإسلامية ثم هاجر إلى سامراء ومنها إلى إيران لزيارة مشهد الإمام الرضا عليه السلام، ثمّ استقر سنة ١٣١٤ هجري في الكويت ليصبح مرجعًا للأمور الشرعية فيها. سنة (١٣٤٣) هجري عاد إلى العراق ليستقر في مدينة البصرة. توفى رحمة الله عليه سنة (١٣٥٨) هجري تاركًا مجموعة من الكتب والرسائل.

٢. راجع: هكذا عرفتهم: ٢٢٩/٣.

الممارسات الدخيلة على الشعائر الحسينيّة ومحاولة إصلاحها كانت جاهزة في ذهن السيّد الأمين من قبل الضجّة التي أثارتها رسالة "الصولة"، إنّ كتاب "المجالس السنيّة" مصنّف ضخم ومهمّ يقع في خمسة أجزاء، صنّفه السيّد الأمين خصّيصًا ليكون مرجعًا لخطباء المنبر الحسيني، يقول في مقدمته:

ولكن كثيرًا من الذاكرين لمصابهم قد اختلقوا أحاديث في المصائب وغيرها لم يذكرها مؤرّخ ولا مؤلّف، ومسخوا بعض الأحاديث الصحيحة زادوا ونقصوا فيها لما يرونها من تأثيرها في نفوس المستمعين الجاهلين بصحّة الأخبار وسقمها حتى حفظت على الألسن وأودعت في المجاميع واشتهرت بين الناس ولا رادع، وهي من الأكاذيب التي تغضبهم عليهم السلام وتفتح باب القدح للقادح؛ فإنّهم لا يرضون بالكذب الذي لا يرضي الله ورسوله صلى الله عليه وآله وقد قالوا لشيعتهم: كونوا لنا زينًا ولا تكونوا علينا شينًا، وقد اكتسبوا هم ومن قبلها منهم وأقرّهم عليها الإثم المبين؛ فإنّ الله لا يُطاع من حيث يُعصى ولا يتقبّل الله إلّا من المتقين.

وبعد إصدار السيد الأمين الكتابين ونشر المقالات في الصحف، تصدّى لآراءه شيخ لبناني جليل هو الشيخ عبد الحسين صادق النباطي العاملي (ت ١٣٦١) هجري رحمة الله عليه، كان تصدِّي هذا الشيخ – على كبر سنّه– قويًّا؛ حيث شمل أقوالًا وأفعالًا تُشجّع على إحياء الممارسات التي انتقدها السيد الأمين، تراوحت من إصدار الفتوى وتأليف رسالة في الغرض سماها "سيماء الصالحين"، إلى الحضور شخصيًّا في المواكب والمجالس وتطبيق تلك الممارسات ممّا أدّى إلى توسّع وانتشار أكبر لها.

وردًّا على أقوال وأفعال الشيخ عبد الحسين صادق النباطي ألّف السيد محسن الأمين رسالته المعروفة: "رسالة التنزيه في أعمال التشبيه" وضّح فيها كلّ آراءه في الشعائر الحسينية دون تحفظ، وضمّنها خلاصة تجربته الإصلاحيّة حيث أثبت لزوم تنزيه مجالس العزاء ومحافلها من الأعمال غير الشرعية، ووجوب الانتباه والتحرّز عن إدخال بعض المحرّمات فيها، وكانت هذه الرسالة بمثابة الزوبعة الكبيرة والقطرة التي أفاضت كأس الردود والردود على الردود؛ فما أن نُشِرت وانتشرت (الرسالة) حتى أحدثت ثورة عارمة، وحرّكت كلّ العالم الإسلامي ليتفاعل معها إيجابًا أو سلبًا، فكانت تلك الردود والردود على الردود – بقطع النظر عن مواقفها سلبًا أو إيجابًا وطرقها – تعبيرًا قويًّا وصادقًا عمّا تمثله نهضة الإمام الحسين عليه السلام من مكانة في وجدان المسلمين على اختلاف مقاماتهم العلميّة والثقافيّة، وجاءت ردود الفعل حول رسالة "التنزيه" من مختلف طبقات المجتمع: مراجع دين، علماء، فضلاء، خطباء، شعراء وعامّة

الناس، كما أخذت أشكالًا وتعابير مختلفة حسب المستوى العلمي والثقافي، وانقسم المجتمع بمواقفه من هذه الرسالة إلى ثلاثة أصناف:

١. المؤيّدون لآراء السيد الأمين، وقد وجدوا فرصتهم للتعبير عن آرائهم ورفع الصوت عاليًا، وكأنهم كانوا بانتظار من يفجّر هذه المواقف الكامنة بداخلهم؛ فكانت الرسالة خير محفّز وأفضل دافع لهم خصوصًا وأنّ صاحبها عَلَم من الأعلام الحوزويّة لا يشكّ أحد في إخلاصه وتفانيه والتزامه بالأحكام الشرعيّة.

٢. المعارضون لآراء السيد الأمين، ويمثّلون الغالبية القصوى والسواد الأعظم؛ رأوا في آراء السيد الأمين خطرًا كبيرًا يهدّد الشعائر ويعصف بمستقبلها، فعارضوا تجربته الإصلاحيّة عن خلوص نيّة معتقدين أنّ واجبهم الديني يحتّم عليهم فعل ذلك، وقد تشعبت مظاهر ردود المعارضين واختلفت باختلاف مستوياتهم المعرفيّة والثقافيّة: منهم من عارض بإصدار الفتوى، ومنهم من عارض بالكتابة والشعر، ومنهم من عارض بالخطابة واللسان، ومنهم من اكتفى بكلمات الاستغفار والدعوة بالهداية، ومنهم من تجاوز كلّ الحدود الأخلاقيّة فتجاسر على السيد الأمين وعلى مؤيّديه بالسبّ والشتم واللعن وإلقاء التهم الباطلة.

٣. فئة معادية لنهج أهل البيت عليهم السلام - منها من هو معاد للدين تمامًا - وجدت في هذه الأجواء فرصة وذريعة للاستهزاء، والتشكيك، والطعن ففتحت حساب معركة ثقافيّة لم يُغلق إلى يوم الناس هذا.

نلخّص في الرسوم التوضيحية التالية:

- الشوائب والانحرافات والتجاوزات التي أراد السيد محسن الأمين - في رسالة "التنزيه" - أن يطهّر الشعائر الحسينيّة منها ومن تبعاتها (نسوقها كما وردت في الرسالة ونؤكّد مرّة أخرى بأنّنا لسنا بصدد الترويج لها أو تبنّيها أو ردّها كاملة، بل نؤيّد بعضها ونتحفظ على بعض الآخر).

- مواقف رجال الدين من رسالة "التنزيه" للسيد محسن الأمين.
- رسائل الرد على رسالة "التنزيه".

الشوائب والانحرافات التي تصدّت لها رسالة " التنزيه "

مواقف رجال الدين من رسالة " التنزيه "

المعارضون	
الاسم	الشكل
المرجع حسين النائيني	فتوى الجواز
المرجع محمد حسين كاشف الغطاء	فتوى الجواز
المجتهد عبد الحسين صادق النباطي	فتوى الجواز مع رسالة
المجتهد عبد الحسين شرف الدين	فتوى الجواز
الشيخ محمد جواد البلاغي	المشاركة في المواكب
الحجة إبراهيم المظفر	رسالة مستقلة
الحجة عبد المهدي الحلي	رسالة مستقلة
الحجة عبد المهدي المظفر	رسالة مستقلة
الحجة علي نقي اللكهنوي	رسالة مستقلة
الحجة محمد الحجامي	رسالة مستقلة
الحجة محمد المظفر	رسالة مستقلة
الحجة مرتضى آل ياسين	رسالة مستقلة

المؤيدون	
الاسم	الشكل
المرجع أبو الحسن الأصفهاني	فتوى الحرمة
المجتهد عبد الكريم الجزائري	فتوى الحرمة
المجتهد هبة الدين الشهرستاني	فتوى الحرمة
المجتهد جعفر البديري	تأييد
الحجة حسين البعلبكي	تأييد
الحجة عبد المهدي الحجار	تأييد
الحجة علي القمي	تأييد
الحجة محمد الكنجيري	رسالة مستقلة

رسائل للرد على رسالة " التنزيه "
المؤلف
اسم الرسالة
تاريخ الطبع
الحجة الشيخ عبد
إرشاد الأمة للتمسك
النجف – ١٣٤٨ هجري
الحجة السيد علي نقي
إقالة العاثر في إقامة
النجف – ١٣٤٨ هجري
الحجة الشيخ محمد
رسالة الشعائر الحسينية
بغداد – ١٣٤٨ هجري
الحجة الشيخ مهدي
كلمة حول التذكار

الحجة الشيخ إبراهيم
نصرة المظلوم

الحجة الشيخ مرتضى آل
النظرة الدامعة

الشيخ عبد الحسين
النقد النزيه
النجف – ١٣٤٧ هجري
السيد نور الدين شرف
مقالات في الصحف

رسائل للرد على رسالة " التنزيه "التنزيه "

لم يكن الشعراء والخطباء وعامّة الناس بمنأى عن هذه المعركة الفكريّة وعن هذه الحركيّة الكبيرة التي أحدثتها رسالة السيد الأمين رحمه الله وذلك - كما أسلفنا القول - تعبير على ما لنهضة الإمام الحسين عليه السلام من حضور ومكانة في وجدان الناس، فأدلى كلّ بدلوه، وقد بلغت ردود الأفعال المخالفة لآراء وتوجهات السيد محسن الأمين حدًّا خطيرًا، وتجاوزات تأباها الشريعة، ويرفضها العقل، وتنكرها الأخلاق.

أمّا مواقف عامّة الناس الذين تحرّكهم العاطفة، وتؤثر فيهم مواقف الخطباء المفوّهون من فوق المنابر، فكانت عنيفة جدًّا، نترك أحد المعاصرين لها - الأستاذ جعفر خليلي - يصوّرها حيث يقول:

> **وانقسم الناس إلى طائفتين - على ما اصطلح عليه العوام -: "علويّين"، و"أمويّين"، وعني بالأمويين أتباع محسن الأمين، وكانوا قلّة قليلة لا يعتدّ بها، وأكثرهم كانوا متستّرين خوفًا من الأذى، واتّخذ البعض هذه الدعوة وسيلة لمهاجمة أعدائه واتّهامه بالأمويّة، فكثر الاعتداء على الأشخاص، وأهين عددٌ كبيرٌ من الناس، وضُرب البعض منهم ضربًا مبرحًا.**[1]

يقول أيضًا:

> **لم يكن يمرّ على صدور هذه الرسالة أسبوع أو أكثر وتنتقل من الشام - حيث تمّ طبعها - إلى العراق حتّى رافقها كثير من الدعايات ضدّها، ووجدت هذه الدعايات هوى في نفوس البعض، فأشعلوها فتنة شعواء تناولت السيد محسن الأمين وأتباعه بقساوة لا تُوصف من الهجاء والذمّ والشتم والقدح، وخاف الذين آمنوا بقدسيّة هذه الرسالة وصحّة فتاوى العلماء، لقد خافوا أن يعلنوا رأيهم في وجوب الذبّ عن موضوع الرسالة والدفاع عن شخص مؤلّفها، ومن الذي كان يجرؤ أن يخالف للناس رأيًا؟! ومن كان يستطيع الظهور بمظهر المخالف في ذلك اليوم؟!"**[2]

أطلق السيد محسن الأمين رحمه الله صيحة مخلصة تعالت مطالبة بتنزيه الشعائر الحسينيّة ممّا لحقها من تطاول كاد يخرجها عن مسارها الصحيح، وشنّ حملة إصلاحيّة على

---

١. راجع "قراءة في رسالة التنزيه للسيد محسن الأمين"، حمد الحسّون، مكتبة عقائد: www.aqaed.com/book/350

٢. راجع المصدر نفسه؛ وكذلك "هكذا عرفتهم": ١/١٢٢.

الخرافات والأوهام الشائعة، وعلى العادات التي دخلت في الدين وما هي من الدين، ولاقت محاولته الإصلاحيّة معارضة عنيفة من عوام الناس، وكذلك من الوسط العلمائي الذي لم يتقبّل قسمٌ كبير منه النقد العلميّ للأساطير والخرافات وللممارسات الدخيلة على الشعائر الحسينيّة، لأنّ ذلك هتك للعقيدة برأيهم، ونيل من قدسيّة الشعائر، وتحت وقع الرفض العنيف للأفكار الإصلاحية التي نادى بها السيد محسن الأمين، تراجعت محاولته الجريئة - كما فُعِل بمحاولات المصلحين السابقين له - وخسرت الساحة، ومن الطبيعي أن يخسر المصلحون الساحة لوقت ما؛ لأنّه لا بدّ لكلّ حركة إصلاحيّة من تضحياتٍ جسام ووقت مديد حتّى تنضج مبادؤها وأفكارها في عقول وقلوب العلماء والنخب لتصير مطلبًا مشتركًا؛ ومتى نضجت المبادئ في القلوب والعقول وأصبحت مطلبًا مشتركًا، لن تقف الحواجز والمتاريس عائقًا لتجسيدها على أرض الواقع.

مشروع إصلاحي متكامل لتنقية الشعائر الحسينيّة

وأمام الكمّ الهائل من التجاوزات والانحرافات التي لحقت الشعائر الحسينيّة من داخل مدرسة أهل البيت عليهم السلام ونظرًا لارتداداتها السلبيّة وما يُمكِن أن تحدثه من آثار وخيمة، تصبح عمليّة الإصلاح الهيكلي أمرًا مؤكّدًا.

ومن جهة أخرى، كشف لنا التحليل العلميّ لتجارب المصلحين السابقين أنّ عمليّة الإصلاح لا تكون ذات جدوى حين تقتصر على رسالة أو كتاب يؤلّفه مفكّر ثم ينشره، فيكون محلّ تفاعل وتجاذب مدّة من الزمن ليخبو نوره بعد ذلك، وتنطفئ شعلته، ويعود الحال إلى ما كان عليه!! لذلك نرى ضرورة صياغة الإصلاح في شكل مشروعٍ متكاملٍ تتضافر فيه جهود أطراف عديدة.

نطرح فيما يلي مشروعًا إصلاحيًّا متكاملًا عبر اقتراح حزمة إصلاحات هيكليّة، ومجموعة حلول عملية لتنقية الشعائر الحسينيّة، والثقافة العاشورائيّة من انحرافات

وتجاوزات القرون الماضيّة، ويتوقف نجاح وفاعلية هذا المشروع الطموح على شرطين أساسيين يجب أن يتحلّى بهما جميع الأطراف التي ستقوم على كاهلها عمليّة الإصلاح:

١. إخلاص ربّاني، وجرأة إيمانيّة، وعقليّة تحرريّة، ومنهج علميّ وعمليّ بعيد عن التعصّب، يتبنّى الموضوعيّة والحياد.
٢. الابتعاد عن العلاقة الجافة، التلقينيّة، وذات الاتّجاه الواحد بين المجتهِد والمقلِّد، وتعويضها بعلاقة جدليّة، متحرّكة، وذات اتّجاهين، قوامها الانفعال والفعل، هي علاقة انفعاليّة؛ لأنّنا نرى أنّه من حقّ المقلِّد الواعي اقتراح وعرْض ما يراه مُصلِحا وبنّاءً على المرجعيّة بطريقة رصينة، خلوقة، وخالية من كلّ تعصّب وتجريح، ليقابله صدر رحب من المرجعية، وتواضع إيماني يأخذ بعين الاعتبار هذه الاقتراحات.

يتلخّص هذا المشروع الإصلاحيّ الطموح في النقاط الأربع التالية:

١. إرجاع الجانب الغائب من الملحمة

ذكرنا سابقًا أنّ الملحمة الحسينية قضيتان: قضية ثورة عادلة، وقضية مأساة رهيبة

جمعت الملحمة العاشورائيّة إذًا بين الفكر والعاطفة، وضمّت العِبرة إلى العَبرة، والدمعة الساكبة إلى الصرخة المدوّية. على هذا الأساس يجب أن يكون للملحمة طابعان أساسيان: طابع " ثوري - سياسي " تكون فيه الكلمة للعِبرة واستخلاص الدروس. وآخر " عاطفيّ - مأساوي " يكون فيه المجال للعَبرة والدمعة.

يؤدّي الجانب "الثوريّ - السياسيّ" إلى نبذ الخوف من الظالمين، وكراهية الذلّ، والوقوف بوجه المتكبّرين، وطلب الإصلاح، والطوق إلى الحريّة والكرامة، والمقاومة، والعزّة، والشهادة، واستثمار دروس عاشوراء لحلّ مشاكل العصر ورفع تحدّيات الواقع، أمّا الجانب "العاطفيّ - المأساوي" فيقود إلى الحزن، والغصّة، والدموع، وتجرّع مرارة المأساة، إنّ البعد العاطفيّ مهمّ في

تثبيت الجانب الأوّل ولازم من لوازمه، فلولا مجالس العزاء، والهيئات، والمواكب، وحرص الموالين على إقامتها بحماسة كبيرة - عبر التاريخ - لما وصل إلينا شيء من الجانب الآخر للملحمة، وتعود الأصالة - بمقاربة البحث - إلى الجانب "الثوري.. السياسي" وليس إلى الجانب "العاطفي.. المأساوي"، لكن وللأسف انقلبت الصورة، واختلطت الأمور فأُستبُدِلت عاشوراء الثورة والأحزان معًا بعاشوراء الأحزان فقط، واختُزِلت الملحمة - بأهدافها الإلهيّة وحركتها الربانيّة - في مجالس لإقامة العزاء، وتهييج الأحزان، واستدرار الدموع.

يمثّل تغييب الجانب الثوريّ في فلسفة عاشوراء، والاقتصار على الجانب العاطفيّ المأساويّ جريمة نكراء في حقّ الملحمة الحسينيّة والمبادئ والأهداف التي من أجلها قامت، لقد منعت الرؤية العاطفيّة الملحمة الحسينيّة من القيام بدورها الإصلاحيّ فاستُبدل الهدف بالوسيلة، واحتلّت المقدّمات مكان النتيجة.

تهدف النقطة الأولى من هذا المشروع الإصلاحيّ الطموح إلى **إرجاع الجانب الغائب من الملحمة الحسينيّة إلى أصله ومكانه الطبيعيّ**؛ لتصبح قضية عاشوراء ذات جنبين: "ثوريّ.. سياسيّ"، و"عاطفيّ.. مأساويّ"، وذلك عبر:

- تشجيع المصنّفات التحليليّة، والبحوث النقديّة، والنصوص العلميّة التي:
  - تشرح أهداف ومبادئ النهضة الحسينيّة.
  - تستنبط القيم التربويّة والدروس الرساليّة من حركة الإمام الحسين عليه السلام.
  - تتّخذ الأهداف والمبادئ الحسينيّة وسيلة لصياغة بدائل لحلّ المشاكل المعاصرة التي تواجهها الأمّة الإسلاميّة خصوصًا، والإنسانيّة عمومًا.
- إقامة المؤتمرات المتخصّصة، والندوات والمحاضرات العلميّة، واللقاءات العلمائيّة، ونشر الدوريات المتخصّصة.

تشهد الأمّة الإسلاميّة هذه الأيام حربًا ضروسًا على قِيَمها، وغزوًا ثقافيًّا غربيًّا دخل إلى عقر دارها يستهدف طمس هويّتها، ومحو خصوصياتها، ونسف مكامن عزّتها وقوّتها، وهي (الأمة) في حاجة إلى التركيز على العِبرة والخطاب الفكري العلميّ، إلى جانب العَبرة والخطاب التعبويّ الحماسيّ.

إنّ الساحة الإسلاميّة اليوم في أمسّ الحاجة إلى تلاحم فعليّ واتّحاد حقيقيّ بين الفكر والعاطفة، وإلى مواقف بطوليّة مشرّفة يقف فيها المثقّف الأكاديميّ إلى جانب الخطيب المناقبي، ويساند المفكّر المستنير الفقيه، ومن دون هذا التلاقح المثمر، والتعاون البنّاء يكون من الصعب التصدّي للهجمات الغربية المدروسة والقاتلة.

٢. تنقية المقتل الحسيني من الشوائب الدخيلة

رأينا سابقًا أنّ الثقافة العاشورائيّة - بما أنّها ثقافة شعبيّة واسعة - شكّلت إطارًا خصبًا للأسطورة، ومسرحًا كبيرًا للخرافة، جال الخيال الواسع بطلاقة في أرجائه؛ حيث أُقحِمت الأساطير المصطنعة، والخرافات المستحدثة إلى قلب النصوص العاشورائيّة، وتسرّبت إلى مضمون المقاتل الحسينيّة والمجالس نفسها، والهدف الأوحد من كلّ ذلك هو الإبكاء وتهييج العواطف. والخطباء، والنعاة، والرواديد، والقائمون على المجالس سقطوا في فخاخ عديدة مثل الفهم الخاطئ لفلسفة عاشوراء، والمبدأ الميكيافلي القبيح "الغاية تبرّر الوسيلة"، والأهمّ من كلّ ذلك الاتّكال على القاعدة الأصوليّة "التسامح في أدلّة السنن".

ولجت الأسطورة إلى مضمون المقتل الحسيني وتسرّبت تدريجيًّا إلى الخيال الجمعي، وزادتها المبالغات الشعريّة، والأساليب الشفهيّة، والصور التخيليّة التي يعرضها قرّاء العزاء، والنعاة، والرواديد رسوخًا وتأثيرًا في النفوس.

لم تقدّم الشوائب الأسطورية الزائفة أيّ خدمة للفكر العاشورائيّ، بل على العكس

من ذلك أساءت إليه إساءةً كبيرةً؛ حيث جرّدته من عنفوانه، وجعلته محلًّا للسخرية والاستهزاء والتوهين، ونفّرت الناس عنه وعن مذهب أهل البيت عليهم السلام.

تهدف النقطة الثانية من هذا المشروع الإصلاحيّ الطموح إلى **تنقية المقتل الحسيني من كلّ الشوائب الدخيلة، والخرافات والأساطير الزائفة**، عبر التحقيق العلميّ والموضوعيّ في المقاتل الحسينيّة، وخاصة المقاتل التي صُنِّفت بعد القرن الثاني عشر للهجرة عمليًّا، ويكون ذلك عبر تشكيل لجنة علميّة تضمّ علماء أجلّاء مختصّين في التاريخ، والسِيَر، واللغة، والحضارة والأنساب، ومن الأفضل أن تتشكّل هذه اللجنة العلميّة من علماء توافق عليهم جميع المرجعيّات الدينية المعاصرة، وتكون تحت رعايتها، ومتمتّعة بدعمها ومباركتها، فتُوكل لهذه اللجنة مهام تنقية المقتل الحسيني - بتجرّد وموضوعيّة - من جميع ما عُلِق به من أساطير وخرافات وزيادات، ويؤدّي عمل هذه اللجنة إلى تصنيف مقتل موحّد يُعبِّر بوفاء على أحداث ووقائع الملحمة الحسينيّة دون زيادة ولا نقصان، ويكون هذا المقتل "الجديد" محلّ إجماع جميع المنتسبين إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام ولا يُعمَل إلّا به.

فيدعو البحث إلى التخلّي عن جميع المقاتل الحسينية - حتّى التأسيسيّة القديمة منها - واعتماد مقتل واحد وموحَّد تجْمِع عليه جميع المراجع الكرام، وتلزِم مقلّديها باعتماده.

ومتى ما هُذِب المقتل الحسيني من كلِّ عيب، ونُقّي من كلِّ شين، وقرِئ من أعلى المنابر سليمًا، صافيًا، ونقيًّا، استجلبت قراءته الأنظار، واستهوت إليها الأفئدة، وأرهفت إليها الأسماع، واستمالت إليها الطباع؛ لأنّ في مضمونها (القراءة) كلّ مقوّمات شدّ الانتباه، فيكون أثرها في النفوس بقدر ميْلها إليها؛ وبذلك تصبح قراءة المقتل الحسيني عبادةً خالصةً، وشعيرة تعبّديّة مأجورًا فاعلها، ومفخرة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وفي سيرة الإمام الحسين عليه السلام وملحمته الخالدة، وخطبه النورانيّة، ومناقبه الربّانيّة، وآدابه النبويّة، ومواقفه البطوليّة، ومآثره الإنسانيّة ومواعظه وأفعاله... ما يروي النفوس، ويشدّ الانتباه، ويجلب الاحترام، ويحلّ المعضلات والمشاكل.

٣. التأسيس لفقه الشعائر

تميل النفس البشريّة بطبعها إلى كلّ ما هو غريب من الأساطير، وشاذّ من الخرافات، ومتفرّد من الممارسات، ونرَى العوام من الناس يُحكِّمون ميزان العقل في جميع الأمور الدنيويّة - صغيرها وكبيرها - لكن حين يتعلّق الأمر بالمسائل الدينيّة يتعطّل ذلك الميزان، ويعود ذلك - على الأرجح - إلى أفكارٍ واهيةٍ، واعتقادات ظلاميّة ترى أنّ إقحام العقل في المجال الديني هو إساءة للدين، وأنّه يجب أخذ المسائل الدينيّة كمسلّمات لا مجال لإعمال العقل فيها.

لم يحصل عبر التاريخ أن تدخّل العوام من الناس في أحكام شرعيّة مثل أحكام الصلاة، أو الحجّ، أو الصيام أو غيرها، لكن غياب الإطار الشرعيّ المؤطّر للشعائر الحسينيّة، والمحدّد لأحكامها، ترك الباب مفتوحًا على مصراعيه أمام العوام من الناس؛ ليتدخّلوا بما يتماشى مع أهوائهم، ويتجاوب مع رغباتهم، ويتناغم مع ميولاتهم، فنفذت الأسطورة الزائفة إلى ثقافة عاشوراء، وتسلّلت الممارسة الغريبة إلى مواكب العزاء، حتّى أصبحت أمرًا مألوفًا، وممارسة معهودة، والجميع يجهل حكم الشرع فيها، ولا يزال صوت الفقيه في هذا المجال خافتًا، وموقف العالم غير واضحٍ، ورأيهما غامضًا.

ومن المفروض أن يكون للدين موقف من كلّ ممارسة، وحكم شرعيّ في كلّ مسألة، يضع لها ضوابطًا، ويحدّ لها حدودًا لا يجوز تجاوزها، وبالرغم من أنّ جميع المنتسبين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام يمارسون الشعائر الحسينيّة مدّة شهرين كاملين من كلّ سنة، وهذه فترة طويلة نسبيًّا، إلّا أنّه لا يوجد - حسب علمي - كتاب مستقل في فقه الشعائر الحسينيّة يحدّد أحكامها الشرعيّة.

لقد أصبحت - في عصرنا الراهن - الحاجة ماسّة إلى ضوابط فقهيّة تؤطّر الشعائر الحسينيّة وتحميها من التطاول والأهواء والانحرافات، والأنظار متوجّهة نحو فقهائنا الكرام لملء ما نعتقده فراغًا فقهيًّا، والتصدِّي لهذه المسائل المهمّة والمتجدّدة.

أصبح من حريّ بفقهائنا الكرام الكتابة في فقه الشعائر الحسينية، وطرح جميع المسائل المتعلّقة بممارسة هذه الشعائر التعبديّة، تبيانًا للمطلوب.

تهدف النقطة الثالثة من هذا المشروع الإصلاحيّ إلى **حثّ الحوزة العلميّة على التصدّي لشرح أحكام فقه الشعائر الحسينيّة**، وذلك باستنباطها من مظانّها وتقديمها في شكل رسائل علميّة وعمليّة تراعي جميع المستويات التعليميّة والثقافيّة، وأن تسهر (الحوزة) بكلّ صرامة على تطبيق تلك الأحكام بما لا يترك مجالًا لعامّة الناس بالمخالفة، والتلكُّؤِ وعدم الامتثال للتقليد في هذه المسائل.

ندعو إلى التأسيس لفقه الشعائر الحسينيّة، وإلحاقه بالرسالة العمليّة للمرجع، وإلزام المقلدون بالضوابط والأحكام الفقهيّة الواردة فيها، وعلى مراجعنا العظام وعلمائنا الأعلام، وفقهائنا الأجلاء أن يُعمِلوا البحث في كلّ ما يتعلّق بالشعائر الحسينيّة؛ لتشمل بحوثهم جوانب قراءة المراثي (من مضامين، طرق القراءة، أساليب التبليغ وغيرها...) وتمتدّ لتغطي مواكب العزاء وما يجري فيها من ممارسات دخيلة، يطرحوا هذه المسائل من وجهة نظر شرعيّة، فقهيّة، تعبديّة، وهذا الأمر يتطلّب تضحيات جسام، ومجهودات كبيرة من الفقهاء والعلماء؛ لأنّ التجارب الإصلاحيّة السابقة أظهرت معارضة شديدة من طرف العوام من الناس وكثير من الخطباء، والنعاة، والرواديد، وحتّى بعض العلماء والفقهاء، عارضوا عن طيب نَفْس وخلوص نيّة كلّ نَفَس إصلاحي، وكلّ محاولة تصحيحيّة لمسار الشعائر الحسينيّة، ظنًّا منهم أنّ واجبهم الدينيّ، وإخلاصهم لنهج أهل البيت عليهم السلام، يُحتِم عليهم التشبّث بتلك الممارسات الدخيلة الموروثة، بل والوقوف في وجه كلّ من يحاول تغييرها.

٤. الرفع من مستوى النعاة والرواديد

تنقسم الشعائر الحسينيّة إلى قسمين: قراءة المراثي، وإقامة مواكب العزاء. أمّا قراءة المراثي فيقوم بها النعاة، ويتولّى الرواديد تكريس ما يقرأه النعاة وتثبيته في النفوس

عبر لطميات وإنشاد حزين اللحن يهزّ العواطف ويثير الأشجان، وأمّا مواكب العزاء فتدار مباشرة من قِبَل الناس.

يمثّل نعاة المراثي والرواديد الجماعة الأكثر التصاقا بقضيّة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته، وتقتصر الوظيفة الأساس لهذه الجماعة على قراءة المصائب الحسينيّة، وإبكاء الناس، وتهييج مشاعرهم، وهم أعلى مرتبة من عامة الناس لكنّهم دون مرتبة العلماء، ولم يدّعوا يومًا التحاقهم بصفّ العلماء، وخير دليل على ذلك امتناعهم اعتلاء المنبر الحسيني والاكتفاء بقراءة المقتل وترديد اللطميات وسرد مصائب أهل البيت عليهم السلام، وقد قدّمت هذه الجماعة - عبر التاريخ - خدمات جليلة للقضية الحسينيّة، فبفضل جهودها بقيت قضية الإمام الحسين عليه السلام حاضرة في الوجدان الشعبي، حيّة في الذاكرة الجماعيّة، لكنّه في مقابل ذلك تتحمّل هذه الجماعة مسؤوليّة كبيرة في انحراف الملحمة الحسينيّة عن أهدافها الرئيسة، وفي تسرّب تجاوزات وتشويهات عديدة إلى ثقافة عاشوراء؛ لقد وقع منذ القدم تقسيم العلماء كلًّا حسب اختصاصه، فالفقه للفقهاء، والعقائد للمتكلّمين، والمنطق للمناطقة، والفلسفة للفلاسفة، وهكذا باقي فروع العلوم الأخرى، أمّا تاريخ الإمام الحسين عليه السلام وسيرته وكلّ ما يتعلّق بنهضته (وقائع، وأهداف، ومبادئ ..) فقد أوكِل إلى النعاة والرواديد.

والسؤال المهم هو ما المؤهّلات التي يجب أن تتوفر في الناعي ليكون ناعيًا؟

وما الشروط المطلوبة في الرادود ليصبح رادودًا؟

ليس المطلوب من الناعي ولا من الرادود شروطٌ كثيرةٌ، وليس المطلوب منه مستوى تعليميًّا ولا ثقافيًّا معيّنًا، ولا مقامًا أخلاقيًّا يحصّنه من التجاوزات الأخلاقيّة، بل يكفي أن يكون صاحب صوت شجيٍّ حزينٍ قادرٍ على إبكاء السامعين وتهييج مشاعرهم.

وبهذه الكيفيّة تكون الأمّة قد أوكلت موضوع الإمام الحسين عليه السلام، وهو موضوع الدين وجوهره وقِيَمه ومبادئه، وموضوع الرسالة بجلالة قدرها إلى غير العلماء، بل إلى

ذوي الأصوات الجيّدة (وهذا الطرح ليس قدحًا في أشخاص النعاة والرواديد فمنهم الملتزم، والمتخلّق بالأخلاق الحسنة، والتقيّ الذي أدّى - ولا يزال يؤدّي - خدمات جليلة للقضيّة الحسينيّة، وليس قدحًا ولا تجنّيًا على أشخاص بقدر ما هو اعتراض على منظومة يجري العمل عليها منذ قرون).

يشكّل النعاة والرواديد طبقة:

- من ذوي المعارف المحدودة، أو لنقل لا يُشترط في الانتساب إليها مستوى دراسيًّا معيّنًا، ولا تخصّصًا معرفيًّا، ولا مقامًا أخلاقيًّا.
- أسيرة لذوق عوام الناس، لا تخالف آراءهم ولا تعارض أهواءهم، بل تسعى إلى تلبية رغباتهم.
- مُنقادة وراء عواطفها الفياضة، غير كابحة لمشاعرها الجياشة.
- ليس موكول لها وظيفة محدّدة، ولا برنامجًا معيّنًا، بل هدفها الوحيد هو إبكاء الناس، وتهييج عواطفهم، وإيقاظ أشجانهم، والمعيار الوحيد لنجاح مهمّتها هو الإبكاء: فقارئ العزاء أو الرادود الناجح هو الذي يكون الأقدر على الإبكاء، والأجدر على تهييج العواطف.

فكلّ صفة من هذه الصفات قادرة لوحدها على تشويه أهداف النهضة الحسينية، وتغيير مسارها، والعصف بها إلى واد الانحرافات وصحراء التجاوزات.

شكّل النعاة والرواديد - عبر تاريخ مدرسة أهل البيت عليهم السلام - الباب الذي وقع من قِبَله النيل من النهضة الحسينيّة، وتشويه مضامينها، والحياد بها عن أهدافها ومبادئها، كان ذلك عبر تسرّب الأساطير، وتسلّل الخرافات، وابتكار أنماطٍ جديدةٍ وأشكالٍ متعدّدةٍ دخيلةٍ من مظاهر العزاء الحسيني، من قبيل: التطبير، والضرب بالسيوف والسلاسل، ونصب الأغلال... وكان الدافع في كلّ ذلك - دون أدنى شكّ - حسن النية وصدق العاطفة، لكن الأمر يتجاوز حسن النيّة، والجرائم لا يشفع فيها صدق العاطفة، إنّما

تتعلّق المسألة بالوعي والعلم والدراية، وليس لحسن النية أن يعوِّض الوعي، ولا لصدق العاطفة أن يحلّ مكان العلم، ومن المحال أن يقع تعويض هذا بذاك، واستبدال الإيجابيّ البنّاء بالسلبي الهدّام.

لقد أضحت قضية الإمام الحسين عليه السلام، وثقافة عاشوراء، وواجهة التشيّع وبوّابته إلى الخارج مُرتهَنة بأيدي النعاة والرواديد، وبعيدة عن علماء الدين، وعُرضة لأخطار تحيط بها من كلّ حدبٍ وصوبٍ.

تهدف النقطة الرابعة من هذا المشروع الإصلاحيّ إلى القيام بإجراءين إصلاحيين مهمّين:

يتمثّل الإجراء الأوّل في الرفع من المستوى العلميّ، والأخلاقي، والمنهجيّ للنعاة والرواديد، ويجب على النعاة والرواديد أن:

- يتلقّوا تكوينًا علميًّا ومنهجيًّا يتماشى وطبيعة المهمّة الحسّاسة الموكلة إليهم.
- يتلقّوا تكوينًا أخلاقيًّا؛ لأنّ الأخلاق الرفيعة تحول بين المرء وبين الابتعاد عن الصدق، وترديد الأساطير الزائفة، والتكسّب من مأساة الإمام الحسين عليه السلام.
- يكونوا على اطّلاعٍ واسعٍ بمجموعة من العلوم وهي متّصلة اتّصالًا وثيقًا بما ينقلونه من تحت المنابر، وما يلقونه على أسماع الآلاف من الناس، مثل علوم التاريخ، والسيرة، والمغازي، والأنساب، واللغة، والشعر.

إنّ التكوين المنهجي ضرورة يفرضها تغيّر نسق الحياة، والواجب على النعاة والرواديد مجاراة هذا النسق، ويلزم عليهم أيضًا أن يكونوا على اطّلاع واسع لانتظارات المستمعين، وتلبيتها بطريقة عصريّة وفق معيار الشرع، ويجب أن يكون هذا التكوين تحت إشراف العلماء الأجلاء، وألّا يتصدّى أحد من النعاة، والرواديد، أو قرّاء المآتم إلى هذه المهمّة الجليلة إلّا بعد استكمال تكوينه، وحصوله على إجازة تخوّله لذلك؛ على أن يبقى أثناء مباشرة هذه المهمّة الحساسة تحت رقابة العلماء، تجنّبا لأيّ انحرافٍ على المسار.

بمعنى آخر، يهدف هذا الأمر الأوّل إلى ردم الهوّة العلميّة والأخلاقيّة بين النعاة

والرواديد من جهة والعلماء من جهة أخرى؛ وتأطير نشاطهم ليكون بعيدًا عن الأهواء والمزاجيّة وتأثير العامّة من الناس، وإعطاءهم برنامجًا واضحًا، ووظيفةً محدّدة لا يمكن الانحراف عنها.

أمّا الإجراء الثاني فيتمثّل في **أخذ زمام أمور تسيير مواكب العزاء من عامّة الناس وإدخالها في حضيرة العلماء الأجلاء**، وتعود حاليًّا إدارة مواكب العزاء الحسيني إلى اجتهادات عامّة الناس، فهم من يؤسّسون لها بشكل مباشر، ومن يديرونها، ومن يجسدونها.

ندعو إلى أن تكون إدارة أعمال مواكب العزاء، وما يُقدّم في فعالياتها من ممارسات، تحت إشراف ورقابة العلماء، وأن يقوموا (العلماء) بدورات تثقيفيّة، وحملات توعوية بالشكل والكيفية التي يجب أن تكون عليها المواكب الحسينية، التزامًا بالشرع، وحفظًا للنفوس، وجلبًا لاحترام الآخرين، وفي ذلك تقوية لشوكة الدين، وخدمة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

نحن لا ندعو إلى إلغاء مواكب العزاء، وإزالة مظاهر الحزن، فهي ركن أساس لحفظ الإسلام الأصيل، وإحياءه، فما حُفِظ خطّ أهل البيت عليهم السلام وبقي حيًّا نابضًا إلّا بفضل هذه التقاليد الإسلامية وهذه المواكب الدينيّة المباركة، وإنّما ندعو إلى تهذيب الأساليب، وتنقية الممارسات، وتصفية الأفعال التي تُمارس في هذه المواكب، لتحافظ دائمًا على عنفوانها وفق الإطار الشرعي، والميزان العقلي، والمزاج الذوقي.

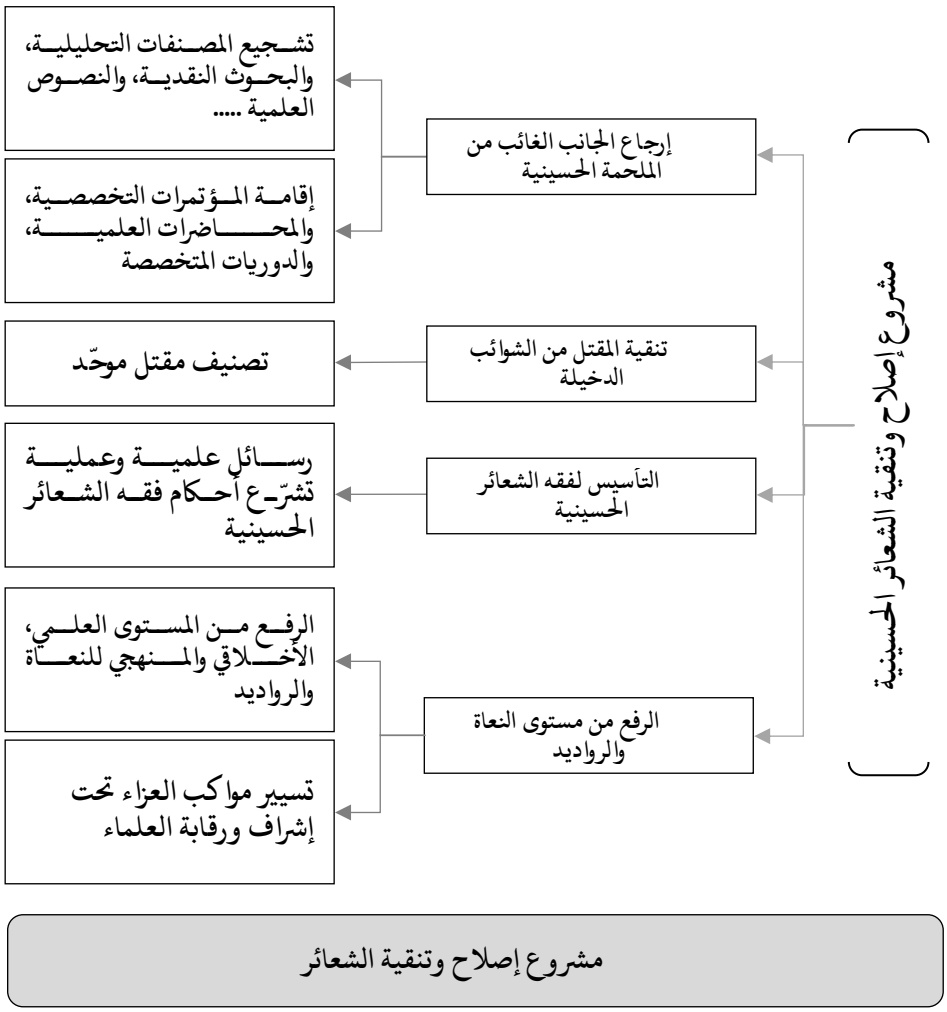
مشروع إصلاح وتنقية الشعائر الحسينية
إرجاع الجانب الغائب من الملحمة الحسينية
تشجيع المصنفات التحليلية، والبحوث النقدية، والنصوص العلمية .....
إقامة المؤتمرات التخصصية، والمحاضرات العلمية، والدوريات المتخصصة
تنقية المقتل من الشوائب الدخيلة
تصنيف مقتل موحّد
التأسيس لفقه الشعائر الحسينية
رسائل علمية وعملية تشرّع أحكام فقه الشعائر الحسينية
الرفع من مستوى النعاة والرواديد
الرفع من المستوى العلمي، الأخلاقي والمنهجي للنعاة والرواديد
تسيير مواكب العزاء تحت إشراف ورقابة العلماء
مشروع إصلاح وتنقية الشعائر

نتيجة البحث

قادنا وضع الملحمة الحسينيّة تحت مجهر التحقيق العلميّ الموضوعيّ إلى حقيقة مفادها أنّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام ابتُليت بالإساءة إلى الملحمة الحسينيّة عبر تسلّل أدبيّات دخيلة إلى الثقافة العاشورائيّة، وولوج تصوّرات خاطئة عن أهداف نهضة سيد الشهداء عليه السلام وابتكار أشكال هجينة للتعبير عن الجزع والحزن في مواكب العزاء الحسينيّة، وقد شكّلت تلك الإساءة مدخلًا كبيرًا لتشويهات وانحرافات وتجاوزات عديدة في مجالات كثيرة بينّا أهمّها بصيغة إجماليّة، تتماشى ومحدوديّة هذا المقال، وبكل موضوعيّة وتجرّد.

فمَثلُ تلك التجاوزات والتشويهات كمثل كرة الثلج، إن لم يقع التصدّي لها فإنّها ستكبر، وتكبر لتنال من نقاء الشعائر العاشورائيّة ومن صفاء الملحمة الحسينيّة، وتنحرف بها بعيدًا عن مسارها الذي من أجله خرج الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه مُضحّين بالنفس والنفيس؛ فمن هذا المنظار تصبح تنقية الشعائر الحسينيّة، من كلّ ما علق بها من إساءة، أمرًا مهمًّا، بل واجبًا مقدّسًا، ومسؤوليّة جسيمة، يجب أن يضطلع بها كلّ المنتسبين إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وبعد دراسة تحليليّة لتجربتين إصلاحيتين للشعائر الحسينيّة، قام بهما عَلَمين من أعلام مدرسة أهل البيت عليهم السلام (وهما المحدّث حسين النوري، والسيد محسن الأمين العاملي رحمة الله تعالى عليهما) بداية القرن المنصرم، سعينا في المقال المتواضع، إلى صياغة مشروع إصلاحي متكامل عبر اقتراح حزمة إصلاحات هيكليّة، ومجموعة حلول عمليّة لتنقية الشعائر الحسينيّة، والثقافة العاشورائيّة من انحرافات وتجاوزات القرون الماضية، ويرتكز المشروع الإصلاحيّ الطموح أساسًا على أربعة أعمدة:

- **إرجاع الجانب الغائب من الملحمة الحسينيّة إلى أصله ومكانه الطبيعيّ.**
- **تنقية المقتل الحسيني من كلّ الشوائب الدخيلة، والخرافات والأساطير الزائفة.**

- **حثّ الحوزة العلميّة على التصدّي لشرح أحكام فقه الشعائر الحسينيّة.**
- **الرفع من المستوى العلميّ، والأخلاقيّ، والمنهجيّ للنعاة والرواديد وأخذ زمام أمور تسيير مواكب العزاء من عامّة الناس وإدخالها في حضيرة العلماء.**

وقد تمّ عرض النقاط الأربع للمشروع بشيء من التفصيل حتّى يسهل تطبيقها عمليًّا على أرض الواقع.

وهذا ما أفاض به البارئ جلّ ثناؤه علينا، وما توصّل به البحث في جملة من نتائجه ضمن منهجه العلميّ.

ربّنا تقبّل منا هذا القليل، واجعله خالصًا لوجهك، إنّك عليم بذات الصدور...

اللّهُمَّ أرزقنا في الدنيا زيارة الحسين عليه السلام وفي الآخرة شفاعته.

اللّهُمَّ ثبّت لنا قدم صدق عندك مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام.

اللّهُمَّ كما أخلصوا فاجعلنا من المخلصين، وكما صدقوا فاجعلنا من الصادقين، وكما جاهدوا فاجعلنا من المجاهدين.

والله من وراء القصد، وهو الهادي السبيل.

مصادر البحث

القرآن الكريم

نهج البلاغة

١. ابن أعثم الكوفي، الفتوح، بيروت، دار الأضواء، طبعة سنة ١٤١١ هـ.

٢. ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر بن محمد، مقتل الحسين عليه السلام المسمى الملهوف على قتلى الطفوف، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

٣. أبو محمد، عبد الملك بن هشام، السيرة النبويّة لابن هشام، قراءة وضبط وشرح د. محمّد نبيل طريفي، بيروت، دار صادر ١٤٢٤ هـ.

٤. أبو مخنف، لوط بن يحيى، وقعة الطفّ، تحقيق: العلامة الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، قم، مؤسسة النشر الإسلاميّ، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.

٥. الأخوند ملاّ آقا الشهير بالفاضل الدربندي، أسرار الشهادة، المعروف بـ"إكسير العبادات وأسرار الشهادات"، طهران، منشورات الأعلميّ.

٦. إسفندياري، أستاذ محمد، عاشوراء الحسين وعاشوراء الشيعة.. تعدّد الأهداف والوسائل، ترجمة محمد عبد الرزاق، مجلّة "نصوص معاصرة" العدد التاسع، السنة الثالثة، شتاء ٢٠٠٧ ميلادي – ١٤٢٨ هجري.

٧. الأفندي الأصفهاني، الميرزا عبد الله، رياض العلماء وحياض الفضلاء، اهتمام السيد محمود المرعشي، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مؤسسة التاريخ العربي.

٨. الحسني، هاشم معروف، الموضوعات في الآثار والأخبار، تحقيق أسامة الساعدي، إشراف حيدر حب الله، بيروت – لبنان، دار الملاك، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ.

٩. الخوارزمي، أبو المؤيد الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام المسمّى بمقتل الخوارزمي، تحقيق: الشيخ محمد السماوي، دار أنوار الهدى.

١٠. د. آمال عبد الرحمان ربيع، الإسرائيليات في تفسير الطبري.. دراسة في اللغة والمصادر العبرية، القاهرة، ١٤٢١هـ.

١١. الذهبي، محمد حسين، الإسرائيليات في التفسير والحديث، القاهرة، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦ هـ.

١٢. الشريعتي، علي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ترجمة الأستاذ حيدر مجيد، سلسلة الآثار الكاملة (٤)، دار الأمير، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٣. صحّتي سردرودي، الشيخ محمد، التحريف في السيرة الحسينية، ترجمة حيدر حب الله، مجلّة "نصوص معاصرة"، ١٤٣٥ هـ.

١٤. الطباطبائي، ميرزا محمد باقر شريف، أسرار شهادة آل الله عليهم السلام.
١٥. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك، (ستة مجلدات)، راجعه وقدم له وأعد فهارسه نواف الجراح، بيروت، طبعة دار ومكتبة الهلال.
١٦. العاملي، السيد جعفر مرتضى، عاشوراء بين الصلح الحسني والكيد السفياني، المركز الإسلامي للدراسات.
١٧. العاملي، السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة.
١٨. محسن رنجبر، المقاتل والمصنفات العاشورائيّة منذ بدايتها إلى عصرنا الحاضر، أستاذ مساعد في مؤسسة الإمام الخميني قدس سره للتعليم والبحوث، قم المقدسة.
١٩. محمدي، محمد، عاشوراء في العصر العلماني.. من التناقض المفاهيمي إلى التناغم في القيم والحاجات، ترجمة مشتلق الحلو، مجلة "نصوص معاصرة"، عدد السابع، ١٤٣٥ هـ.
٢٠. المدرسي، السيد هادي، عاشوراء ، بيروت، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، ٢٠٤٥م.
٢١. المطهري، الشهيد مرتضى، الملحمة الحسينية، مراجعة وتصحيح: عبد الكريم الزهيري، مكتبة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤٣٠ هـ.
٢٢. المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام، قم، انتشارات المكتبة الحيدرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ.
٢٣. النوري الطبرسي، حسين، اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر، تعريب الشيخ إبراهيم البدوي، دار البلاغة.
٢٤. الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر، بيروت، دار الزهراء.